الرسالة

(أعمال الرسل ١١:١٩–٣٠)

في تلك الأيام لمَّا تبدَّد الرسلُ من أجل الضيق الذي حصل بسبب استِفانُسَ اجتازوا إلى فينيقيةَ وقُبرصَ وأنطاكيةَ وهم لا يكلِّمونَ أحداً بالكلمةِ إلَّا اليهودَ فقط* ولكنَّ قوماً منهم كانوا قُبرُصيين وقَيْروانيين. فهؤلاء لَما دخلوا أنطاكيةَ أخذوا يُكلِّمونَ اليونانيينَ مُبشِّرينَ بالربِّ يسوع* وكانت يدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورَجعوا إلى الرب* فبلغَ خبُر ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية* فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ اللهِ فرحَ ووعظهم كلَّهم بأن يثبُتوا في الرب بعزيمةِ القلب* لأنَّه كان رجلاً صالحاً ممتلِئاً من الروحِ القدسِ والإيمان. وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ* ثم خرج برنابا إلى طرسوسَ في طلبِ شاول. ولمَّا وجده أتى به إلى أنطاكية* وتردَّدا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلَّما جمعاً كثيراً ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في أنطاكية أولاً* وفي تلك الأيام انحدر من أورشليم أنبياءُ إلى أنطاكية* فقامَ واحدٌ منهم اسمه أغابُوسُ

«مشيئة الذي أرسلني»

يحدث لقاء، في إنجيل اليوم، بين الربّ يسوع والمرأة السامريّة، عند بئر يعقوب، يتخلّله حديث عن الماء والعطش. لمّا جاء التلاميذ من المدينة، حاملين الطعام، تحوّل حديث الربّ إلى الطعام الآخر الذي لم يكن الرسل يعرفونه. ينطلق ربّنا من حاجاتنا اليوميّة ليرفع اهتماماتنا نحو الأمور الأسمى من الحاجات المادّيّة التي يجعلنا الشرّير أسرى لها. يعرف ربّنا أنّ أمورنا الروحيّة، وإن كانت غير ظاهرة، إلّا أنّها تعطي معنىً حقيقيًّا لحياتنا.

العدد ٢٠١٩/٢١

الأحد ٢٦ أيار

أحد السامرية

تذكار الرسول كريسبُس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

يتعب الناس كلّ أيّام حياتهم في تأمين الطعام والشراب الضروريَّين لبقائهم الجسديّ. لكن هناك طعام وشراب من طبيعة مختلفة، غير مادّيّة، من دونهما تموت الروح، وإن ماتت، تغدو حياة الإنسان بلا معنى. من هنا، يأتي تحذير الربّ يسوع الذي قال: «لا تخافوا مِنَ الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحريّ مِنَ الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنّم» (مت ١٠: ٢٨). فليفتكر كلُّ إنسان بالجهد الذي يبذله من أجل الغذاء المادّيّ المفيد للنموّ الجسديّ، وليَنتبه إن كان يبذل، في الوقت ذاته، جهدًا في سبيل الغذاء الروحيّ الذي ينمّينا روحيًّا. مَن لا يبذل جهدًا في سبيل نموّه الروحيّ، يكون غافلاً عن خلاصه، ومساهمًا في تسليم نفسه لِمَن يقدر أن يهلك النفس والجسد.

بعد أن قال الربّ يسوع لتلاميذه إنَّ له طعامًا ليأكله لا يعرفونه هم، أوضح لهم أنَّ طعامه هو أن يعمل مشيئة الذي أرسله ويتمّم عمله. نحصل على الغذاء الروحيّ عندما نسعى، في حياتنا، إلى العمل بحسب مشيئة الربّ. لذلك، في الصلاة الربّيّة (أبانا الذي في السموات...)، يأتي طلب الخبز الجوهريّ بعد إعلاننا عن استعدادنا للعيش بحسب مشيئة الربّ قائلين: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا الجوهريّ أعطنا اليوم». كيف نعرف مشيئة الربّ؟ ليس الجواب على هذا السؤال سهلاً لأنّه يتطلّب قراءةً متواصلة للكلمة الإلهيّة، وإصغاءً كاملاً لسماع صوت الله في داخلنا. لكنّنا، في شتّى الأحوال، نستطيع أن

نضع مقياسًا لعيشنا بحسب مشيئة الله، وهذا المقياس هو المحبّة: محبّة الله والقريب. إن كنّا نعيش المحبّة، التي تبذل نفسها، فنحن نعيش بحسب مشيئة الله، لأنّ إرادة الله هي «قداستكم» كما يعلّم بولس الرسول (١تس ٤: ٣)، وما القداسة سوى عيش المحبّة التي تجعلنا نكرّس حياتنا للربّ مثلما فعل القدّيسون، فلا يعود يستهوينا أيّ أمر يبعدنا عنه.

لقد أظهر الربّ يسوع للمرأة السامريّة أنّ عطشه الحقيقيّ هو لخلاص نفسها، ثمّ أظهر للتلاميذ أنّ جوعه الحقيقيّ هو لإتمام مشيئة الآب، الأمر الذي يظهر بوضوح بقوله في مكان آخر من إنجيل يوحنّا: «لأنّي قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني، وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أنّ كلّ ما أعطاني لا أتلف منه شيئًا بل أقيمه في اليوم الأخير، لأنّ هذه هي مشيئة الذي أرسلني أنّ كلّ مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبديّة وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٣٨–٤٠). ليس سهلًا أن يجوع الإنسان ويعطش، فكم بالحريّ ربّنا الذي يجوع ويعطش من أجل خلاصنا! قد يموت الإنسان بسبب الجوع والعطش، وقد مات ربُّنا عندما صار إنسانًا بسبب جوعه لخلاصنا. بما أنّ ربّنا وخالقنا تعب وجاع ومات من أجل خلاصنا، فهذا يجب أن يحفّزنا على أن نتعب نحن بدورنا في سبيل خلاص نفوسنا ونفوس مَن هم حولنا.

لم يقل لنا الربّ إنّ الخلاص يأتي من دون تعب وجهد: «مَن أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ومَن يهلك نفسه من أجلي يجدها ومن أجل الإنجيل فهو يخلّصها» (مر ٨: ٣٥). دعانا ربّنا إلى حمل الصليب (مت ١٦: ٢٤) والدخول من الباب الضيّق (مت ٧: ١٣)، فما الذي سيجعلنا نتعب في سبيل أمر غير ملموس؟ إن كنّا نخشى التعب، علينا أن نتذكّر أنّ العطشان والجائع ينسيان عطشهما وجوعهما في اللّحظة التي يحصلان فيها على الماء والطعام. نحن، وإن كنّا نتعب في سبيل الخلاص، لكنّ تعبنا يؤول إلى راحة عندما نتذوّق الخلاص الذي أعطانا إيّاه مخلّصنا. ربّنا، برحمته، يجعلنا نتذوّق خلاصه منذ الآن، لكي ننسى كلّ أتعابنا ونفرح بالمسيح القائم من بين الأموات، والذي أقامنا معه لحياةٍ أبديّة.

القدّيس يوستينوس

الشهيد

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ١ حزيران للقدّيس الشهيد يوستينوس الفيلسوف. أعمال قدّيسنا هي المصادر الأساسيّة عن حياته. وُلد بداية القرن الثاني، حوالى العام ١١٠، من عائلةٍ وثنيّةٍ في مدينة نابلس الفلسطينيّة.

أظهر منذ صباه اهتمامًا بـ«الحقيقة»، وكان متعطّشًا لحلّ الأمور الغامضة وتفسيرها. جذبته الفلسفة، فبدأ يتنقل من معلّم إلى آخر وفقًا للعادات المتّبعة في ذلك العصر. تردّد بين عدّة مدارس فلسفيّة بدءًا من الرواقيّة التي هجرها عندما وجد أنّها لا تدرك شيئًا عن الله، ثمّ المشّائيّة، فالفيثاغوريّة التي لم يتمكّن أن يلتحق بها لأنّه لم يستوفِ بعض العلوم المطلوبة مثل الموسيقى

فأنبأ بالروح أن ستكون مجاعةٌ عظيمةٌ على جميعِ المسكونة. وقد وقع ذلك في أيام كلوديوس قيصر* فحَتَمَ التلاميذُ بحسَبِ ما يتيسَّرُ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُرسِلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكِنين في أورشليم* ففعلوا ذلك وبعثوا إلى الشيوخ على أيدي برنابا وشاول.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥–٤٢)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ من السامِرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضَيْعَةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِه* وكان هناك عيُن يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العين وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامِرَةِ لِتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَبَ* فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيف تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومن الذي قال لكِ أعْطيني لأشرَب لَطَلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقة. فمِن أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظَمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شرِبَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطَش أيضاً. وأمَّا

مَن يشربُ من الماءِ الذي أنا أُعطيهِ له فلن يعطَش إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالتْ إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولِكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لك خمسةُ رِجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رَجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت له المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبلِ. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنَّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآب* أنتم تسجُدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآب بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنَّما يطلُبُ الساجدين له مثل هؤلاء* اللهُ روحٌ. والذين يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مَسِيَّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخبِرُنا بكلِّ شيءٍ* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معَك هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّمُ

وعلم الفلك والجغرافيا التي كان يعتبرها الفيثاغوريّون ضروريّة من أجل خلاص النفس. أخيرًا، لجأ إلى الأفلاطونيّة حيث وجد شيئًا من الراحة مع نظريّة عالم المُثُل التي ظنّ أنّها ستقوده إلى رؤية الله، لكنّه سرعان ما أُحبط منها، وتحوّل إلى المسيحيّة بمساعدة شيخ مسيحيّ مجهول إلتقاه على الشاطئ فنقض له، بمنهج سقراطيّ، كلّ المفاهيم الأفلاطونيّة حول خلود النفس وانتقالها من جسد لآخر بعد الموت، مؤكّدًا من جهة ثانية أنّه يستحيل أن يعاين أحدٌ الله عبر الفلسفة، ومن دون نعمة الروح القدس، ونصحه أن يدرس الكتاب المقدّس وخصوصًا كتب الأنبياء. منذئذٍ انكبّ القدّيس يوستينوس على دراسة الأنبياء، وفهم أنّ كلّ النبوءات تحقّقت في شخص المسيح، حسبما أعلن له الشيخ. عندئذٍ، اعتنق القدّيس يوستينوس المسيحيّة التي كان يجلّها ويجلّ شهداءَها الذين واجهوا موت الشهادة بشجاعة. يُرجَّح أنّ ما حدث مع القدّيس يوستينوس تّم في أثينا حوالى العام ١٣٥.

إلتقى، بعد فترة، بمعلّم ناموس يهوديّ اسمه تريفن، الذي هزئ به حين اكتشف أنّه مسيحيّ، فتناقش معه يوستينوس مدّة يومين قبل أن يُكمل طريقه إلى روما حيث أسّس مدرسة خاصّة به، حوالى العام ١٥٠، حاول من خلالها أن يستبدل كلّ الأنظمة الفلسفيّة بالتعاليم المسيحيّة. إهتمّت مدرسته بسدّ حاجات ذاك الزمن، وترافق التعليم فيها مع عبادة الإله الحقيقيّ، فكانت المدرسة أيضًا مكاناً للعبادة، حسبما يبدو لنا من أخبار استشهاده. لذا، يمكننا اعتبار القدّيس يوستينوس أوّل مؤسّس للمدرسة اللاهوتيّة المسيحيّة الأولى في العالم الغربيّ. توقّف عمله التعليميّ بين وقت وآخر بسبب تدخّل شخصيّات معتبَرة في الدولة، ما دفعه إلى تحرير كتابَين دفاعيَّين. مدرسته مهدّت الطريق لعصر جديد في تاريخ الكنيسة، التي انتقلت معه من كنيسة سراديب وديناميس إلى ظاهرة تدعو مفكّري العصر إليها بشكل علنيّ، فأصبح العالم الرومانيّ مجبَرا على مواجهة التيّار الروحيّ الجديد بجديّة، لا بروح السخرية. لم يتردّد قدّيسنا في توبيخ الفلاسفة الوثنيّين، فحسده البعض وأسلموه إلى الإمبراطور الذي حكم بقطع هامته في روما مع ستّة من تلاميذه عام ١٦٥.

عمومًا، نجد في مؤلّفات القدّيس يوستينوس تشديدًا على حياة المسيحيّين الأخلاقيّة، إلى درجة يرى فيها البعض أنّه لم يكن فيلسوفًا، بل مُصلحًا أخلاقيًّا. يذكر إفسافيوس القيصريّ والقدّيسان إيريناوس وإيرونيموس عددًا من مؤلّفاته التي لم يصلنا منها سوى دفاعين، والحوار مع تريفن.

الدفاع الأوّل هو أهمّ وأطول دفاع مسيحيّ، يبّرئ فيه المسيحيّين من التُّهَم الخاطئة الموجَّهة إليهم من أنّهم ملحدون ولا يؤمنون بالإله الواحد الحقيقيّ. هنا يستخدم القدّيس حجَجًا لتبيان أنّ حياة المسيحيّين أخلاقية بينما نجد الإنحطاط الأخلاقيّ في العالم الوثنيّ المليء بالممارسات الخاطئة والإنغماس بالسحر. أيضًا، يتحدّث القدّيس يوستينوس عن نبوءات العهد القديم وتاريخيّتها وواقعيّتها

وتحقّقها في العهد الجديد، ويقول إنّ الأنبياء أسمى من الفلاسفة. إحتجّ على الأسلوب المتّبع في معاملة المسيحيّين الذين هم مواطنون كغيرهم، ولا يجوز إنزال العقوبة بهم لمجرّد أنّهم مسيحيّون.

يحاول القدّيس يوستينوس في الدفاع الثاني أن يعطي قيمة للفلسفة، وذلك بأنّها تحتوي على عناصر من الحقيقة. يكرّر دفاعه عن المسيحيّين الذين يحاكَمون ليس لأنّهم يفعلون الشرّ، بل لأنّهم يفعلون الفضيلة ويعلّمون الحقيقة، ويؤكّد تفوّق المسيحيّة على الوثنيّة وجميع الفلسفات. أيضًا، يقدّم أجوبة على أسئلة الوثنيّين التي منها مثلاً: إذا كان المسيحيّ يحبّ الشهادة، فلماذا لا ينتحر؟ ويجيب القدّيس يوستينوس عن هذا السؤال بأنّ الحياة هي هبة من الله.

أمّا الحوار مع معلّم الناموس تريفن فيُعدّ أهمّ عمل لاهوتيّ في الكنيسة القديمة، وهو أقدم مؤلَّف ضدّ اليهود. يجيب فيه القدّيس يوستينوس عن رأي تريفن، مشدّدًا على وقتيّة الناموس الموسويّ، كما يدافع عن ألوهيّة الابن، ويؤكّد أنّ الأمميّين هم شعب الله الخاصّ في حال قبلوا المسيح. يبدي يوستينوس، في نهاية حواره، أملَه في أن يهتدي تريفن ورفاقه إلى المسيحيّة.

تُعتبر مساهمة القدّيس يوستينوس في إدخال الروح اليونانيّة في المسيحيّة الحدثَ الأهمّ في حياة الكنيسة في القرن الثاني. نحن لا نزال، حتّى يومنا هذا، نعايش أشخاصًا قدّيسين يحاولون التوفيق بين علوم عصرنا وفلسفاته والفكر المسيحيّ المستقيم، لكنّنا نظنّ أنفسنا في الكثير من الأوقات علماء أكثر منهم، فنبدأ باتّهامهم بالهرطقة والخروج عن إستقامة الرأي. إنّ الآبائيّةَ في كنيستنا المقدّسة تقوم على استخدام لغة العصر لمخاطبة الأبناء، لذلك يمكن أن تستخدمه الكنيسة أيّ وسيلة مناسبة للبشارة من أجل إيصال بشارتها المستقيمة الرأي، وهذا لا يكون خروجًا عن الإيمان، بل هو صلب البشارة. ألا أهّلَنا الله أن نسير على درب الشهداء القدّيسين، وليس بالضرورة أن نقدّم شهادة دم، بل شهادة الكلمة، مبشّرين بأنّ المسيحيّة هي الحقيقة الأزليّة.

إصدارات

صدر عن دار Berytus منشورات مطرانيّة الروم الأرثوذكس في بيروت، كتاب «خبراتي بالقرب من القدّيس بورفيريوس» الذي قامت المطرانيّة بتعريبه. كما نذكّر أنّ كتاب «أمسية في برية الجبل المقدس آثوس» قد تمّت إعادة طباعته. يُطلَب الكتابان من دار المطرانيّة، ومن كنائس الأبرشية ومكتبة الرجاء.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

معها* فتركتِ المرأةُ جرَّتَها ومضتْ إلى المدينةِ وقالتْ للناس* تعالَوا انظُروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي أثناءِ ذلك سألَهُ تلاميذُه قائلينَ يا معلّمُ كُل* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذُ فيما بينَهم ألعَلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أن أعمَلَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتمِّمَ عملَهُ* ألستُم تقولون أنتم إنَّه يكونُ أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرح الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إنّي أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعَبوا أنتم فيه. فإنَّ آخرين تعبوا وأنتم دخلتم على تعبِهم* فآمَنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجل كلامِ المرأةِ التي كنت تشهَدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ أن يُقيم عندهم. فمكثَ هناك يَوْمَيْن* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئِكَ جدًّا من أجل كلامه* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامِكِ نؤمنُ الآنَ. لأنَّا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلّصُ العالم.